قاسم أمين أديبا

دكتور / صابر أحمد عبد الحافظ ابراهيم
مدرس الأدب والنقد
بكلية اللغة العربية بأسيوط

فى الحقيقة أنه لم يسمع القارىء بأن المفكر المصرى المشهور قاسم أمين صاحب « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » قصصا أو شعرا أو مسرحيات ، فغيم نسبة الأدب له ؟

الحق أننا لا نقصد من وراء هذا العنوان أن قاسم أمين كان أديبا ، بل نقصد أن ننظر الى انتاجه لنستجلي معالم واشارات لعلها تقربه قليلا أو كثيرا الى باب الأدب ، وتظهر عنده شيئا أو أشياء تدخل فى صنعة الأديب .

ان القصد من هذا العنوان ليس تقريريا ، بل استفهاميا ، أو قل هو تخييلى ، فماذا لو قرأنا لقاسم أمين وكأنه أديب ؟ ألا نقرأ للجاحظ وكأنه لغوى أو مؤرخ بل قد نرتفع درجة أخرى لنبحث عن كتابات لقاسم أمين تدخل صراحة وقصدا فى دنيا الأدب ، وليس بحثا عن معالم أو اشارات تقربه منها .

فما تبرير هذا كله ؟ انه ليس مجرد طرافة هذا الضرب من البحث الذى يمكن أن نطبقه على من كانت حرفته السياسة أو الطب أو الفلسفة أو غيرها مما لا يدخل فى نطاق الادب ، بل هو أن قاسم أمين وأمثاله

من مؤسس ثقافتنا الحديثة وضعوا البذور ، وأقاموا بعض الدعائم ، ليس فى الميدان الذى خصصوا له انتباههم ، أو على الأدق جل انتباههم ، بل وفى سائر الميادين بدرجات متفاوتة ، لأن الثقافة كل واحد يتأثر فيه كل جانب بشتى الجوانب ، وبخاصة فى مراحل التكوين الأولى ، وعلى الاخص اذا كان قصد مفكر مثل قاسم أمين ليس أن يقترح تغييرا فى ميدان محدود هو ميدان الاسرة ، بل أن يتقدم بمشروع شامل « لمدينة » أو « لتمدن » جديدين ، اذا استعرنا لفظين مما كان يستعمل .

وهكذا فان قاسم أمين مؤسس بالاصالة فى ميدان الفكر الاجتماعى ، لكنه مؤسس بالاضافة فى ميادين أخرى من التجديد الثقافى .

وحديثنا هنا يختص بتوجيهات جديدة . بل بحساسية جديدة ، نستطيع أن نستشفها عنده وتتصل بدنيا الأدب ، وببعض من انتاجه قد يدخل مباشرة فى هذه الدنيا الجميلة .

الأدب وفق الكتابة :

ما الادب ؟ ومن الاديب ؟ انما نقدم لنقول ان الادب هو فن الكتابة على نحو خاص بغرض الامتاع .

أما الاديب هو الذى يقوم على هذا الفن على نحو متصل ، يمتد لطول حياته أو فترة طويلة منها ، ويظهر خلالها انتاج له ذو امتداد .

فليس من أطلق مثلا حكيما بليغا بأديب ، لا من قال بيتا من الشعر هو كبيضة الديك بأديب ، ولا من كتب يوما قصة فى ثلاث صفحات .

من هذه الزاوية فليس قاسم أمين بأديب ، على الرغم من وجود صفحات طـوال تدخل صراحة ـ كما سترى ـ فى معنى الادب ، ومع ذلك ومن حيث تعريفنا للادب ، فان هناك عناصر أدبية فى انتاج قاسم أمين ، أقلها كما هو ذلك الذى يدخل صراحة فى قصد « الامتاع » ، وأكثرها الذى يدخل بوضـوح فى باب « الكتابة على نحو خاص » نقصد الاسلوب الادبى ، بل ربما كان قاسم أمين يتوخى أحيانا كثيرة ـ وهو بسبيل الاخبار والتبليغ ـ أن يضـع ما يقول فى قالب يتوخى منـه الامتاع •

على هذا الاساس يمكن أن نقول أن قاسـم أمين ليس بالاديب الخالص أو الاجتماعى الخاص وانما هو أمشـاج(١) مشـترك بين الادب والاجتماع •

والثقافـة نبت ، وقـد تكون اعادة للانبات فى شجرة ذبلت ، أو زرع جديد فى أرض مجدبة ، لم يظهر قاسم أمين وكتاب جيله من أمثـال مصطفى كامل وأحمد لطفى السيد وشوقى وحافظ من فراغ ، بل كانت أمامهم نماذج للكتابة الجديدة التى استحدثها الشيخ محمـد عبده وعبد الله النديم وأديب اسحاق وأحمد فارس الشدياق وغيرهم من مصريين وشاميين وهذا جيل ومن قبلهم كان جيل رفاعه الطهطاوى وخير الدين التونسى وبطرس وسـليم البستانى الذين بدءوا خط التجـديد اللغوى والادبى من أوله مع بعض غيرهم ممن هم أقل شهرة مع عظيم الفضـل للجميع •

---

(١) أمشاج : خليط ـ مختصر تفسـير ابن كثير ٣/٥٨٠ ، صـفوة التفاسير ٣/٤٩١ ، محمد على الصابونى •

وربما استطعنا أن نقول عن نموذج أسلوب قاسم أمين أنه كان في نموذجين ، طريقة الشيخ محمد عبده الذى عرفه قاسم أمين أخص معرفة ، واستند الى سلطته فى تجديداته الفكرية ، وذلك من حيث الاهتمام بالمعنى فى المقام الاول ، واختيار اللفظ المناسب له من غير الغريب ، والحرص على تسلسل الافكار ، والعناية بالوضوح والقصد فى الكلام ما أمكن ، وعدم اصطناع البحث عن المحسنات البلاغية بأنواعها ، مع الترحيب بها ان أتت بتلقائية دون تعمد أو عدوان على المعنى ، والتسلسل والوضوح والاقتصاد فى القول .

ولا شك أن اتصال قاسم أمين بالشيخ العظيم قد حدث بعد عودة الشيخ محمد عبده من منفاه عام ١٨٨٨ ، وان معرفته بكتاباته قد توثقت بعد ذلك التاريخ .

لكن لا ريب أن تلك المعرفة قد بدأت قبل ذلك بكثير ، حيث انتشرت كتابات الشيخ محمد عبده منذ ١٨٨٠م على الاخص ، وكان قد بدأ فى النشر منذ ١٨٧٥م ، وقاسم أمين ولد عام ١٨٦٣م كان في سن القراءة فى ذلك الوقت ، بل انه أنهى دراسة الحقوق فى القاهرة عام ١٨٨١م وأرسل للدراسة العالية فى فرنسا فى نفس العام ، فلابد أن يكون قد قرأ للشيخ محمد عبده وأقرانه قبل سفره ، كان الشيخ فضلا عن ذلك أحد المقدمين فى ميدان الكتابة أثناء حركة النهضة المصرية العظيمة فى ذلك الوقت (١٨٧٨ — ١٨٨٢م) .

الاسلوب والصياغة القانونية :

أما النموذج الثانى لكتابة قاسم أمين فانه النموذج المختار من الكتابة الفرنسية الرفيعة فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وذلك من حيث تفضيل العبارة القصيرة والبحث عن الرشاقة ، والحرص على

التوازن بين الجمل ، وتقديس الوضوح الفرنسى الشهير الذى ورثه الفرنسيون عن امامهم « ديكارت » وهو امام فى الفلسفة ، وامام فى اسلوب الكتابة وعرض الافكار • وقد عرف قاسم أمين الاسلوب الفرنسى فى القاهرة أولا ، أثناء دراسته بمدرسة الحقوق بها ، ثم عرفه قراءة وكتابة وحديثا على السواء أثناء اقامته بفرنسا حيث درس فى كليه الحقوق فى جامعة « جرينوبل » فى الجنوب الفرنسى ، ما بين عامى ١٨٨١ ، و ١٨٨٥م ثم لم ينقطع عن الاتصال به بعد عودته ، حيث عين بالنيابة والقضاء ، وكانت لغة القانون هى الفرنسية بالاساس والمرجع •

فمن هنا كتب قاسم أمين كتابا كاملا بالفرنسية ردا على افتراءات أحد الكتاب الفرنسيين على الاسلام والمصريين ، عنوانه « المصريون » ويستحق أن يسمى « دفاعا عن الاسلام والمصريين ولا يفوتنا أن نشير الى التأثير المؤكد للغة الصياغة القانونية على أسلوب قاسم أمين ، من حيث الدقة والترتيب على الاخص •

هـذه الخصائص الاسلوبية لنموذج الشيخ محمد عبده ونموذج البلاغة الفرنسية ، هى نفسها الخصائص التى اجتهد قاسم أمين على أن تكون طابع كتابته لمجابهة من ؟

هنا نصل الى ادراك أمر ذى أهمية طريف ، وذلك أن نفس الخصم الذى سيعارضه « فكر » قاسم أمين هو الذى سيعارضه « أسلوبه » ، ألا وهو النموذج المتجمد الذى قام عليه التمدن الاسلامى خلال المئات الست السابقة / سواء كان فى نظم السياسة والاجتماع أو فى أساليب التعبير والقيم الجمالية على السواء •

وهكذا فاذا كان فكر قاسم أمين ثورة على ماض ، رأى أنه لا حياة

للأمة الا بنقضه فان أسلوبه أيضا رفض للاسلوب الذى استقر عليه تراث هذا الماضى الذى تجمد مثل تجمده .

ان اسلوب قاسم أمين يماشى فكر قاسم أمين . وفيم سيكون الفرق اذن بين طريقته فى الكتابة وطريقة الشيخ محمد عبده ؟

ربما جمعنا القول عن هذا الموضوع ، الجدير بالتفصيل ، فى عبارة واحدة هى أن الشيخ محمد عبده درس على الطريقة البلاغية القديمة ، وثار عليها ، ودرس المصطلح القديم ، وانتقى منه وقدم الجديد ، فكان عنده الجديد أسلوبا ومضمونا واصطلاحا ، مع بقاء شىء بالضرورة من القديم ، وهل ينسلخ المرء من جلده انسلاخا تاما حتى ان أراد ؟ .

أما قاسم أمين فانه لم يعان شيئا من معاناة الدراسة على القديم ، بل درس فى المدارس « الاميرية » ، أى مدارس « الامير » الجديدة التى أنشأها محمد على فى مواجهة الكتاتيب وطريقة التعليم الازهرية ، ثم درس العربية فالفرنسية ، ثم وجد الطريق معبدا من خلال تجارب الجيلين السابقين عليه ، فكان التجديد الحق صفة أليق به وبجيله منها بجيل الشيخ محمد وأقرانه .

ونستطيع أن نقول مطمئنين ان الاسلوب السائد اليوم فى الكتابة العربية هو الابن المباشر لما نشره أحمد لطفى السيد ، وما أسلوب أحمد لطفى السيد بل وما فكره الا محتوى بجوهره وكثير من تفاصيله فى أسلوب قاسم أمين وفكره ، مع ميل الى استطالة الجملة عند الاول ، وقليل من التأثر المباشر بالنموذج الفرنسى ، وبخاصة من حيث الرشاقة والحرص على التوازن .

اسـلوب علمى :

ان السمة الكبرى لاسلوب قاسم أمين حين يكون بسـبيل عرض أفكاره الاجتماعية هى أنه « اسلوب علمى » يسلك فيه سـبيل الدقـه والاقتصاد فى التعبير ووضوحه انظرالى أول سطور كتابه الاول بالعربية « تحرير المرأة » :

« كل مسألة من المسائل التى أجملتها فى هذه الاسطر القليلة يصح أن تكون موضوعا لكتاب على حدة ، وقد تعمدت الاختصار فيها ، حتى ترتبط تلك المسائل ببعضها ، كأنها حلقات سلسلة واحدة ، وغاية ما أريد هو أن أستلفت الذهن الى موضـوع قل عـدد المفكرين فيه .. ويرى المطلع على ما أكتبه أنى لسـت ممن يطمع فى تحقيق آماله فى وقت قريب ، لان تحويل النفوس الى وجهة الكمال فى شؤونها مما لا يسهل تحقيقه ، وانما يظهر أثر العاملين فيه ببطء شديد فى أثنـاء حركتـه الخفية ، وكل تغيير يحدث فى أمة من الامم ، وتبدو ثمرته فى أحوالها ، فهو ليس بالامر البسيط ، وانما هو مركب من ضروب من التغيير كثيرة ، تحصل بالتدريج فى نفس كل واحد شيئا فشيئا ، ثم تسرى من الافراد الى مجموع الامة ، فيظهر التغيير فى حال ذلك المجموع نشـأة أخرى للامـة »(٢) .

وانظر اليه يلخص موقفه من الحجاب ويبرره :

« اننا نطلب تخفيف الحجاب ورده الى أحكام الشريعة الاسلامية ، لا لاننا نميل الى تقليد الامم الغربية فى جميع أطوارها وعوائدها لمجرد التقليد ، أو التعلق بالجديد لانه جديد فاننا نتمسك بعوائدنا الاسلامية ،

---

(٢) تحرير المرأة : قاسم أمين : ص ٢ ـ ٣ من طبعة ١٨٩٩م .

ونحترمها ، ونرى أنها مزاج الامة ، تتماسك به أعضاؤها ، ولسنا ممن ينظر اليها نظره الى الملابس ، يخلع ثوبا كل يوم ليلبس غيره ، وانما نطلب ذلك لاننا نعتقد أن لرد الحجاب الى أصله الشرعى مدخلا عظيما فى حياتنا المعيشية . لسنا فى مقام استحسان أمر واستقباح آخر لما فيه من موافقة الذوق أو منافرته ، وانما نحن بصدد ما به قوام حياة المرأة ، أو ما به قوام حياتنا »(٣) .

وانظر اليه على الاخص حين يريد أن يلخص كلامه عن الاستبداد ومضاره على الحضارة الاسلامية فيقول :

« ليس هنا محل البحث عن الاسباب التى وقفت بهذه الجمعيات الشرقية عند حد العجز عن التخلص من الاستبداد المزمن الذى حرمها الترقى فى المدينة ، وحصر حركتها فى مدار واحد بدون أن تنتقل من مكانها ، وانما يهمنا هنا أن نثبت أمرا يتعلق بموضوعنا وهو وجود التلازم بين الحالة السياسة والحالة العائلية فى كل بلد ، ففى كل مكان خط الرجل من منزلة المرأة وعاملها معاملة الرقيق ، خط بنفسه وافقدها وجدان الحرية ، وبالعكس فى البلاد التى تتمتع فيها النساء بحريتهن الشخصية يتمتع الرجال بحريتهم السياسية ، فالحالتان مرتبطتان ارتباطا كليا »(٤) .

فى كل هذه الأمثلة تجد مصداقا لما سمى بالاسلوب العلمى(٥)

الامتاع والاقناع :

على أن قاسم أمين قادر على الامتاع ، حتى وهو بسبيل التوجيه

---

(٣) تحرير المرأة : قاسم أمين : ص ٦٨ ، طبعة ١٨٩٩م .
(٤) المرأة الجديدة ، قاسم أمين ، ص ١٦ من طبعة سنة ١٩٢٨م .
(٥) الأسلوب ـ أحمد الشايب ـ الأسلوب العلمى والأدبى بتصرف .

العقلى وعرض الحقائق فانظر اليه كيف يستخدم الالفاظ الموحية ، ويأتى بالصور والتشبيهات مما يساعده على اقناع قارئه ، ولكم صدم كثير من قراء كتابه الاول الذى خرج الى الناس فى عام ١٨٩٩م ٠

« ها هى مسألة الحجاب مسألة من أهم المسائل ، ولها مكان عظيم فى شئون الامة ، اذا ترك القارىء نفسه لعواطفه ، واستسلم الى عوائده ظهر له الحجاب فى مظهر حسن ، لانه ألفه فى صغره ، ونشأ بين المحجبات ، وعاش معهن ، حتى صار ذلك عادة مألوفة له ثم انه ورثه عن آبائه وأجداده ، فلا يستغربه ، بل يميل اليه ميلا غريزيا ليس للعقل فيه مدخل ، وانما هو حركة ميكانيكية ليس الا ، أما اذا نزع من نفسه العوامل التى أحدثت تلك العواطف ، وخلع ما ألبسه اياه أسلافه من أردية الوراثة ، وبحث المسألة من جميع جهاتها بحث من لم يتأثر الا بالتجربة التى تجرى فى الوقائع الصحيحة ، وحصل لنفسه رأيا من ملاحظاته الشخصية ، وكان ممن تنجذب نفسه للحق ، وتبعث الى السعى للوقوف عليه وتأييده لماله عندها من المنزلة العلية والمكان الرفيع ، وكان لا يغش نفسه بالترويق والتزيين الوهميين ، وانما يسمع صوت وجدانه السليم ، ويرجحه على كل هوى سواه ٠٠ فعند ذلك يرى أن المرأة لا تكون ولا يمكن أن تكون وجودا تاما الا اذا ملكت نفسها »(٦)

وما أشد تأثير ايجاز قاسم أمين وعباراته القصيرة المتتالية المتقابلة :

« انظر الى البلاد الشرقية ، تجد أن المرأة فى رق الرجل ، فى رق الحاكم ، فهو ظالم فى بيته ، مظلوم اذا خرج منه »(٧) ٠

---

(٦) تحرير المرأة ـ قاسم أمين ، ص ٦٩ ـ ٧٠ ٠

(٧) المرأة الجديدة ، قاسم أمين ص ١٦ ٠

وانظر اليه كيف يزاوج بين الحكم العام والحالات الجزئية :

« كان من أثر هذه الحكومات الاستبدادية أن الرجل فى قوته أخذ يحتقر المرأة فى ضعفها ، وقد يكون من أسباب ذلك أن أول أثر يظهر فى الامة المحكومة بالاستبداد هو فساد الاخلاق ، قد يمكن أن يتوهم من أول وهلة أن الشخص الواقع عليه الظلم يحب العدل ، ويميل الى الشفقة ، لما يقاسيه من المصائب التى تتوالى عليه ، لكن المشاهد يدل على أن الامة المظلومة لا يصلح جوها ولا تنفع أرضها لنمو الفضيلة ولا يربو فيها الا نبات الرذيلة • وكل المصريين الذين عاشوا تحت حكم المستبدين السابقين ، وما العهد منهم ببعيد — يعلمون أن شيخ البلد الذى كان يسلب منه عشرة جنيهات كان يستردها مائة من الاهالى ، والعمدة الذى كان يضرب مائة « كرباج » عند عودته الى بلدته ينتقم من مائة فلاح »(٨) •

قاسم أمين والتجريد :

ان قاسم أمين قادر على التجريد الشديد ، والمحاجاة العقلية ، وقادر على أن يكون رقيقا وأن يكون ساخرا سخرية شديدة ، فأما الرقة فتلمسها فى حديثه عن الحقيقة وعن السرور وعن صعوبة التطابق بين الاحساس والتعبير ، فيقول عن هذا الامر الاخير : « كلما أراد الانسان أن يعبر عن احساس حقيقى رأى بعد طول الجهد وكثرة الكلام أنه قال شيئا عاديا أقل مما كان ينتظر ، ووجد أن أحسن ما فى نفسه بقى فيها مختفيا » •

ويقول عن الحقيقة قول العاشق :

« الحقيقة هى ضالة الانسان فى العالم ، ويجب عليه أن يسعى

---

(٨) المرأة الجديدة ، قاسم أمين ص ١٣ — ١٤ •

وراءها بلا قصور ولا تعب ، الحقيقة هى الكنز الذى أودع الله فيه كل آمال الانسان ، لا يجدها الا من رغب فيها ، ومال عن سواها ، الحقيقة هى مشرق السعادة ، لانها الوسيلة وحدها لوصـــول الانسان الى كمال العقـــل والنفس »(٩) •

واربما بلغت رقة تعبير قاسم أمين أقصاها فى اهـــدائه كتابـــه الثانى(١٠) ، الى سعد زغلول :

« الى صديقى سعد زغلول ، فيك وجدت قلبا يحب ، وعقلا يفكر ، وارادة تعمـــل ، أنت مثلت الى المرأة فى أكمـــل أشكالها ، فادركت أن الحياة ليست كلها شقاء وأن فيها ســـاعات حلوة لمن يعرف قيمتها ، فى هذا أمكننى أن أحكم أن هذه المودة تمنح ساعات أحلى اذا كانت بين رجل وزوجته ، ذلك هو سر السعادة الذى رفعت صوتى لاعلنه لابنـــاء وطنى رجالا ونساء » •

أما السخرية فانها ليست اذات السخرية عند قاسم أمين ، بل هى موظفة دائما لغاية عقلية أو خلقية ، قد تكون للاقناع أو الحث ، وقـــد تكون للتنفيد والافحام أو قد تكون صراحة للترقيع •

فأما مثال استخدامه للسخرية من أجل الاقناع فقوله :

« علينا أن نأخذ من العوائد ، وأن نكسب من الاخلاق ما يلتئم مع مصالحنا ، فنكون مالكين لمصادر أعمالنا كما يطلب منا العقل والشرع ، لا أن نكون عبيدا لعاداتنا التى وجدنا عليها آباءنا ، فيكون مثلنا مثـــل الرجل وجد لباسه ضيقا ، فرأى أن يجوع ليهزل ويضعف وينحل ، حتى

---

(٩) المرأة الجديدة ــ قاسم أمين ص ٤٥ •

(١٠) المرأة الجديدة ــ قاسم أمين ــ الاهداء •

يصغر جسمه فيبسعه لباسه ، لا أن يصلح لباســه بتوسيعه حتى يتفق مع جســمه » •

وأما مثــال استخدامها للتفنيد فقوله ردا على من زعم من نقــاد كتابه الاول(١١) أن حرية النساء تعرضهن للخروج عن حدود العفة :

« التجارب المؤسسة على المشاهدات الصحيحة تدل على أن حرية النســاء تزيد فى ملكاتهن الادبية ، وتبعث فيهن احســاس الاحترام لانفسهن ، وتحمل الرجال على احترامهن •

ولا نذهب فى تأييد هــذا الرأى مذهب غيرنا بالاتيان باحصــاء مخترع لا حقيقة له ، نشره بعضهم فى الجرائد الهزلية تفكهة للقراء ، ونسب فيه الى أحد العلماء أنه شــاهد أن المرأة الالمــانية تخون زوجها سبع مرات ، والبلجيكية ست مرات وأربعة أخماس المرة ، والهولندية أربع مرات ، والطليانية مرة وخمسة أسداس ، والنمساوية مرة واحدة ، وهكذا حتى وصل الى التركية والمراد بها الشرقية : فقال : انها لا تخون زوجها الا عشر المرة الواحدة »(١٢) •

الكتابات الادبيــة :

ونأتى الآن الى ما قد يدخل صراحة ومباشرة فى باب الادب من كتابات قاسم أمين ، أى ما كتب ليس بقصد التقرير والاخبار النفعى ، بل بقصد الامتاع الجمالى ، وكل ما يدخل فى هــذا الاطار نجده فيما نشره لقاسم أمين بعض أصدقائه بعد وفاته ، مما كان ينشر فى الصحف بعنــوان « كلمات » و « أخلاق ومواعظ » ونظن أن البحث الدقيق فى

---

(١١) تحرير المرأة هو الكتاب الأول لقاسم أمين •

(١٢) المرأة الجديدة ص ١٨ ـ ٢٠ •

صحافـــة العصر جدير بأن يخرج الى النور كتابات أخـــرى لا يحتويها هذان السفران(١٣) •

وهـــذه الكتـــابات هى بأسرها من نوع « الصـــور السريعـــة » أو « اللقطات » أو ما يسمى باللغات الاوربية « اسكتش » فهى أقـــل كثيرا من القصة القصيرة ، وكثيرا ما تكون بهدف أخلاقى لاجل الموعظة ، كما يدل عنوان الكتاب الثانى(١٤) ، وهى دائما لقطات حادة •

ويكون قاسم أمين فى أعلى حالاته حين يكون الموضوع نفســـيا كله أو فى جانب رئيس منـــه لكن بعض هـــذه الكتابات ذات موضوع اجتمـــاعى •

ومما يؤسف له أن بعض « المحققين »(١٥) المزعومين أدخلوا على هذين الكتابين فى الفترة الاخيرة عناوين وتقسيمات لا هى من يد قاسم أمين ولا من يد أصدقائه ناشرى الكتابين •

ومما يحتويه الكتاب الاول كلمة عن تفسير عبارة فرنسية تقول : (انى أخشى ما أتمنى) ، وأخرى عن ادعاء الشجاعة ، وثالثة عن مواقف مختلفة بازاء متحف « اللوفر » ورابعة عن منظر الجنازة ، ان كان الجانب الاقتصادى فيها بارزا ، وخامسة عن تجربة عرس عاشها قاسم أمين وهو لم يزل طفلا ، وسادسة عن الشراهة ، وســـابعة عن أخلاق طالبى الوظائف(١٦) ، على أننا نعتقد أن أجمل ما فى هذا الكتاب « كلمات »

---

(١٣) هما ١ ــ كتاب « كلمات » لقاسم أمين •

٢ ــ « أخلاق ومواعظ » لنفس المؤلف قاسم أمين •

(١٤) « أخلاق ومواعظ » لقاسم أمين •

(١٥) من تلاميذه وأتباعه الذين ترجموا عنه ولهم مؤلفات فيه وفى غيره منها رجالات مصر وعظماء التاريخ •

(١٦) كتاب « كلمات » لقاسم أمين فى صفحات متناثرة •

مقطوعة تصف منظر امرأة « محجبة » ظاهرا ، لكنها سافرة الجسم واقعا (١٧) .

وسيرى القارىء مدى القدرات الادبية الكامنة فى قلم قاسم أمين حين يقرأ هذا النص الرائع على قصره :

« رأيت يوما فى شارع الدواوين امرأة تمشى وأمامها خادم يظهر من هيئتها أنها من عائلة كبيرة طويلة القامة ، ممتلئة الجسم ، عمرها بين العشرين والثلاثين ، فى وسطها حزام من الجلد ، مشدود على خصر رفيع ، وملاءة منطبقة على جسمها انطباقا تاما ، الجزء الاسفل بارز عند الارداف ، ومرسوم تحت شعار الملاءة باعتدال جميل ، القسم الاعلى غير مستور ، وانما الملاءة مشبوكة على رأسها ، مسدولة على كتفيها وذراعيها المرفقين ، على وجهها قطعة من « الموسلين » الرقيق أقل عرضا على الوجه ، تحجب فاها وذقنها حجابا لطيفا شفافا ، كما تحجب قطع السحب الرفيع شكل القمر ، وتترك العيون والحواجب والجبهة والشعر الى منتصف الرأس مكشوفة ، كانت تمشى خطوات مرتبة ، يهتز معها جسمها ، مائجا كما تفعل الراقصة على « المرسح » « المسرح » وكانت تخفض جفونها بحركة بطيئة وترفعها كذلك وترسل الى المارة نظرات دعابة ورخاوة وحنان واستسلام ، وبالاجمال كان مجموعها تحريضا مهيجا لحواسهم »(١٨) .

أما الكتاب الثانى « أخلاق ومواعظ » فانه يحتوى على مقطوعات ذات غرض أخلاقى واجتماعى ، وتختص بانتقاد أحوال الموظفين فى الحكومة ، لكن معظمها يدخل فى باب الوصف الادبى من بابه الواسع .

---

(١٧) كتاب كلمات لقاسم أمين ـ عنوان ـ الحجاب والسفور .

(١٨) من كتاب «كلمات» قاسم أمين ـ تحت عنوان ـ الحجاب والسفور

فكم يجيد قاسم أمين فى التمثيل على نفاق هـذا الموظف بين سـائر الفئات فى ذلك العصر ، من فرنسيين الى انجليز الى سوريين الى أقباط الى مسلمين ، وكم يحسن وصف « نشـاط » الموظف الحكومى ، حتى لتحسبه يصف منظرا وقع بالامس ، وكم يتقن وصف وزير يداهن كل الجهات ، أو صاحب المعاش الذى فارق وظيفته متألمـا لفراقها(١٩) •

هذا اذن قاسم أمين كما رأيناه أديبا ؛ ولعل عرضنا هذا يكـون مثيرا لانتباه دارسى تاريخ الفكـر ، ودارسى الادب والمثقفين عامة ، ولعله يزرع نبت فكـرة نرجو أن يتأصل الاعتقاد فيها ، ألا وهى أن ميادين الثقافـة متداخلة فيما بينها ، والفهم الجيد للجـزء لا يكـون الا بادراك للكل •

هذا وبالله التوفيق ،

دكتور / صابر أحمد عبد الحافظ ابراهيم
مدرس بقسم الادب والنقد بالكلية

---

(١٩) « أخلاق ومواعظ » قاسم أمين ـ موضوعات متناثرة من الكتاب